جَماليَّةُ الخِطابِ القُرآنيِّ

(برؤيةٍ معاصرةٍ)

د. سلام كاظم الاوسي

جامعة القادسية - كلية الآداب

فحوى البحث

يدور هذا البحث الموجز حول مايتجلى في القرآن الكريم من مظاهر الجمال في النظم والاسلوب، ويرى أن هذه المباحث انما هي اشراقات روح عشقت لغة الوحي فاشرق فجر الكلمة من هدير خطابه العزيز في مباحث تقتبس من نوره المتجلي، وهي محاولة جريئة تسعى الى قراءات مستقبلية في هذا الكنز الإلهي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

الخطاب القرآني: فيوضات ربّانية، ولمع قدسية استشرقت الآفاق في اللجج العميقة من الذات الإنسانية التي ألهمها خالقها فجورها وتقواها، فبكلمة (كن فيكون) كانت كينونة الكون والطبيعة والإنسان، وسميت آياته بالمعجزات وأنفلق كل شيء من حبّة الى كوكب ليصير وجوداً، وفتقّ للكائنات لغات تتحاور بها وبواسطتها باسمه الأعز الأعظم ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وكانت لغة الحيواناتِ أصواتا وإشارات، فالحيوانات تخرج أصواتاً متباينة في ارتفاعها وانخفاظها للتعبير عن أحوالها النفسية في الهول أو الفرح الغريزي، والحشرات ومنها حشرة (النحل) ترسل بمرسلة اشارية للتخاطب مع بني جنسها برقصات تشكل رقم (٨) ولتمثل كل رقصة عدداً من الكيلومترات ثم تتجه باتجاه الشمس، أو بعكسها لتحقق تصويراً لوضع الغذاء بالمسافة والاتجاه دون أن ترافق النحل الى موضع قوته، أما لغة البشر فهي لغة متطّورة، بلغت في رقيّها مبلغ الإنسان من بنية عقلية عميقة، حسّاسةٍ إزاء الوجود، ومحاولتهِ استكشاف هذا الوجود.

فبالحروف التي تشكّل الكلمات، وبالكلمات التي تشكّل التراكيب حاور الانسان هذا العالم وتفلسف في حركة التأريخ، فأدهشه خلق الله في السماوات والارض، فحاور الوجود في الفلسفة والعلم، وفي اللغة تحقق له ما اراد فانشغل بأحواله: أشجانه وأفراحه، انتصاراته وانكساراته ليصورها شعراً ونثراً، وكانت الامة العربية التي أنزل فيها القرآن أمة شاعرة متبصّرة بأسرار اللغة فأبدعت أسمى صورة للغة البشرية الالهية، بيد أنّ أساطين اللغة الكونية من شعراء وحكماء بلغاء وشعراء في قريش أم في غيرها من المفوهين ظلّوا باهتين حين واجهوا النص الإلهي، في الخطاب القرآني ذلك الرقيق العميق مع وجوده في لغتهم، وتأتيّهِ في أساليبهم، ولكنّهم وجدوه يجري على غير نظمهم وسبكهم في الشعر والنثر، وإنهُ شاملٌ جامعٌ مانعٌ، ليس فيه تفاوت ولا مزاج، وانه ليس من صنع بشر، ولو كان من صنع بشر لتفاوت، واختلف

بإختلاف أمزجة البشر فما عارضوا النص القرآني وان تحداهم من ان يأتوا بمثله، ولو في آيات متفرقات اما الذين تجرؤوا على معارضته (إن كانوا عارضوه فعلاً) كسجاح المتنبئة، او مسيلمة وغيرهم فانهم حكموا على انفسهم بسخرية التاريخ لوجاهة عبقرية اللغة القرآنية، واعجازها البياني، والكوني والتشريعي وأما الذين قالوا بكونه شعرا او جنونا او ان الله صرف العرب عن ان يقولوا بمثله فهي افتراءات لا تقوم مع منطق الاحداث.

والعرب يعرفون مزايا الشعر ويدركون أنّه ليس منه وان كان فيه من خصائص الشعر، وان الجنون يحدث خللا منطقياً وتفاوتاً فكرياً والقرآن كامل لا لوث فيه، وأنَّ وجود الصرفه إنَّ صح، فان دهشة العرب من عظمة أسلوبه ما حرفهم عن مماثلته، فصرفهم من أنفسهم وليس من الله عز وجل.

القرآن

خطاب الخالق.. نص الوجود

وصف النص القرآني نفسه ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا﴾[سورة الجن: ١] لا من حيث لغته وحدها بل من حيث إجابته عن أسئلة الوجود والأخلاق والمصير، ووصف نفسه بأنّهُ ((الكتاب)) من حيث انه مطلق اللغة، ومطلق الوجود، ومطلق المعنى. وانه لغة التنزيل والوحي الذي تمت كلماته بنسيج جمالي متفرد، وتفرده كان سر دهشة بلغاء العرب في الجاهلية والإسلام، لكونه يحمل رؤى للإنسان والحياة والكون وهو من جانب آخر، يعد نصّاً تراجيديا يكشف عن الغياب والزوال والفناء[1]. وإنّ النص القرآني حقا هو نصُ الوجود، و(القرآن الكريم) الذي يصف عيسى بن مريم عليه السلام بأنه كلمة منه، هو الذي جعل كلمات الله لانهائية ولا يمكن لايٍّ مداد إنْ يستوعب تسجيلها ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[سورة الكهف: ١٠٩] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [سورة لقمان: ٢٧].

---

(١) ينظر: النص القرآني وآفاق الكتابة، ادونيس، دار الآداب، بيروت السنة بلا ص/ ٢٢-٣٤).

هكذا يحّول القرآن الكريم كلَّ ما يدركه الوعي الإنساني بحسِّه إلى كلمات تشكل صورة العالَم، وإنَّ النص القرآني هذا (يستثمر الحضور في وعي المتلقي لكي يحوّل كل محتويات هذا الحضور الى علامات دالّة على الخالق المنعم.. فاذا كان السياق سياق تهديد ووعيد فأنَّ الجبال من خشية الله تتصدع لو كان القرآن قد انزل عليها ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الحشر: ٢١]. بل أنَّ الله سبحانه وتعالى تجلّى للجبل و﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣] لأنه قد طلب من رَبّه أن يظهر له حسب اقتراح قومه ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [سورة النساء: ١٥٣]، وهنا (تتحّول الجبال الى قوى عاقلة حساسة ربما اكثر حساسية من الإنسان نفسه وأهدى عقله أليست هذه الجبال هي التي أشفقت من حمل ((الأمانة)) من حيث عرضت عليها وعلى السماوات والأرض[٢] ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [سورة الاحزاب: ٧٢].

أن النص القرآني نص خالد مدهش، وهو خطاب يمتلك عناصر أسلوبية متفردة وهذا الأسلوب انما هو مادة الإعجاز العربي في كلام العرب ليس من ذلك شيء الا وهو معجز كما يقول الرافعي وبنظامه الإلهي العجيب انبهر سدنة اللغة، وأساطين البلاغة والفصاحة، فجاء مباينا بنفسه كلَّ ما عرف من أساليب البلغاء في ترتيب خطابهم وتنزيل كلامهم، وعلى انه يؤاتي بعضه بعضاً، وتتناسب كل آية منه مع كل آية أخرى في النظم والطريقة على اختلاف المعاني وتباين الأغراض، فلا تفاوت في نظمه مما يختلف البلغاء في عمله والإحاطة به والتأتي له، والانطباع عليه[٣].

وإنَّ هذا القرآن هو ضمير الحياة العربية والإنسانية، وهو من اللغة كالروح الإلهية التي تستقر في مواهب الإنسان تضمن لأثاره الخلود انَه الروح التي

(٢) النص: السلطة الحقيقية، د. حامد ابو زيد، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط٢/ ١٩٥، ص٢٦٠.

(٣) إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، ص/ ٢٠.

تفصح عن معاني النبوغ في اثارها الخالدة (فلا نجد اقرب الى غرضها من ان تهيج الإحساس بها في كل نفس فيجري ذلك في البيان منها، لأنَّ الإحساس إنّما هو اللغة النفسية الكاملة[٤].

هكذا هو النص القرآني (يعيش في شعور العالم لا شعوره، ويتجذّر في زمنه ومصيره ويوجه أشواقه ولواعجه، ويعزف إيقاع رؤاه وإرهاصات جوارحه).

النص يبث تجليّاته في الحرف، والصوت، والصورة، والمكان، ويتغلغل في مادة العالم وروحه[٥].

والرؤية القرآنية ترصد الإنسان بوصفه تأريخاً وترصد العالم بوصفه تدافعاً يمنح العالمَ تفسيرُهُ وجودَهُ وبالأسلوب الفريد يحقق هذا التفسير للوجود في العالم وجود الإنسان وأفعاله ومستقبله والجمالية المعرفية في النص القرآني أبلغ دلائل إعجاز القرآن و به تأهل العرب، وفجرّ في أنفسهم الإيمان العميق.

هذا الاعجاز الذي أبكى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، فرقَ لَه قلبهُ، فدخل الاسلام طوع بنانه وأدهش الوليد بن المغيرة أحد سادة قريش على وفق ما رواه ابن هشام في سيرته اذا قال لقريش لما سمع بعضاً من آياته {والله، مامنكم رجلُ اعلمَ منيّ بالشعر، ولا برجزِه، ولا بقصيدِه، ولا بأشعار الجن،، والله ما يشبه الذي يقوله من هذا، والله ان لقوله حلاوة وان عليه لطلاوة وانه ليحطم ما تحته وانه ليعلوا ولا يلعى عليه، ثم تابع مكملاً: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ﴾.

ومن دهشة العرب أنَّ سعيد بن المسيّب قال عنه: (أنا لا أقول في القرآن شيئاً)، وأنَّ لبيد بن ربيعة قد سحره نظم القرآن فانقطع عن الشعر إلى القرآن يتملاّه.

هذا هو النص القرآني، خطاب الهي يضع في اعتباره الواقع والسياق وحالة المخاطب، ويتحرّك ليجسّد برهانه عبر حركة تتردد بين إتجاهين: قوتهُ البلاغية، والظرف الإنساني، وإنَّ جمل القرآن وعباراته ليست مجرد كلمات، وعبارات، بل تصبح آيات كالشمس والقمر وسائر الآيات الالهية، وتنطوي هذه الآيات في

(٤) المصدر نفسه، ص/ ٢٠٩.

(٥) النص القرآني من الجملة الى العالم، د. وليد منير، المعهد العالي للفكر الاسلامي، ط١، القاهرة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧، ص/ ١١٢.

جوانحها وما تنطوي عليه من الهداية والنور والمعاني والإجابات التي تتكشف عبر العصور بتكشّف ظهور حاجات الأمم والعصور وأسئلة ومسائل الحياة وأزماتها[٦].

هذا هو النص القرآني وهو يخاطب الإنسان على هذا الكوكب الآدمي:

كتاب ينفتح على الكون بأبعاده كافة، يحتويه، ويستبطن نسيج أسراره ويحفظ تفصيلاته اللامتناهية في ذاكرته، في ثنايا حدسه، وفي مرايا تأملاته[٧].

إن صوت الوحي، ولغة التنزيل حققت عالميتها، وإنسانية الإنسان على هذا الكوكب فانشغل بها علماء ومفكرون عرب ومستشرقون وهم يبحثون في كنوز النص القرآني، ويتدارسون علاقة القرآن بالكتب التوحيدية الأخرى.

من مظاهر الأعجاز القرآني

القرآن المجيد هو المعجزة العظمى الخالدة التي أيد الله سبحانه وتعالى بها رسول الإنسانية محمدﷺ فحّمله بهِ رسالة السماء لاهل الارضَ فتلاه الرسول على الناس من حوله ودعاهم الى لايمان بهِ، فكان تأثيره في النفوس كبيراً، فأزداد عدد المؤمنين به بينما إزدادت حسرة المشركين واندهاشهم بسحره القدسي فزعموا أنه سحر، وأنهُ شعر وقالوا: أنُهُ من أساطير الاولين، ولو نشاء لقلنا مثل هذا، فتحداهم القرآن بان يأتوا مثله بشيء لكنهم عجزوا وخُذلوا.

وقد أنشغل العلماء الأجلاء في موروثنا العربي الاسلامي وفي حياتنا المعاصرة في البحث الجاد الدؤوب عن إعجاز القرآن والبحث في جوهرهِ فتعددت آراؤهم في ذلك، فذهب بعضهم الى أنّ الاعجاز منحصرٌ في نظم القرآن وبلاغة تعبيرهِ، وذهب آخر الى آنَّ الاعجاز منحصرٌ في معاني القرآن وما يتضمنه من تشريعَ وكلمة لأسرار الخلق، واخبار ما مضى وما هو آتٍ وجمع آخرون بين المذهبين فقالوا: إنَّ الاعجاز كائنٌ في نظم القرآن وفي معانيه معاً وفرق اخرون بين ما هو من إعجاز وما هو دليل على صدق نبوة الرسولﷺ

(٦) ينظر: النص القرآني من الجملة الى العالم. د.وليد منير، ص/ ١١ المقدمة.
(٧) المصدر السابق ص/ ١٥٩.

مما ورد ذكره في القرآن من أسرار الخلق، وذكر المغيبّات.

ولعل أبرز ملامح الاعجاز القرآني هو ما يكمن في إعجازه (البياني)، وقد التفت الى الاعجاز البياني علماء اجلاء مقتدرون إبتداءً بأبي سليمان الخطابي في كتابهِ (بيان إعجاز القرآن) والجرجاني في كتابه (دلائل الاعجاز) و(أسرار البلاغة)، ولم ينتهيا بكتابات أمين الخولي ومحمود محمد شاكر في تقديمه (للظاهرة القرآنية) وكتابات سيد قطب وعائشة عبد الرحمن في (التفسير البياني للقرآن الكريم) ود.محمد حسين الصغير وسواهم الكثير.

فقد ناقش الامام الخطابي الوجوه التي تُظهر اعجاز القرآن فرد على الاعجاز بالصرفة التي تقول بأن الله صرف المشركين عن القدرة من الاتيان بمثله، وقدّم أدلة من القرآن الكريم كذلك ردَّ على القائلين بالاعجاز البلاغي، إذ وجد أنَّ البلاغة في القرآن تكون عند العرب وقد التفت الى الصلة بين لغة القرآن ولغة العرب فوجد تفاوتاً بلاغياً في لغة العرب (بين بليغ، رصين، جزل، وقبيح، قريب سهل، وجار، وطليق مرسل) فكان أن قسم لغة العرب على مراتب ثلاث هي:- (أعلى طبقات الكلام وأرفقه، وأوسطهُ، وأقصدهُ، وأدناهَ وأقربهُ).

اما لغة لقرآن فلا تجد فيها تفاوتاً فأخذت من كل الأقسام بحصة فأنتظم له من امتزاج هذه الأوساط نمط من الكلام يجمع بين صفتي الفخامة والعذوبة حتى تبدو فكرة الجمع بجعلهما كالمتضادينَ لأنَ الفخامة ترتبط بالجزالة والمتانة في الكلام في حين ترتبط العذوبة بالالفاظ السهلة، الرقيقة، فكان إجتماعهما في نظم واحد فضيلة خصَّ بها القرآن.

والحديث عن الاعجاز البياني مستفيض انشغل فيه كما اسلفنا أئمة في اللغة ورجالاتها كالرمّاني والخطّابي والشريف الرضي وعبد القاهر الجرجاني حتى تسلمه (جار الله الزمخشري) وفتح فيه وعمّق دراساته البلاغية الرائدة في (الكشّاف) وهو يرسم منهجاً قرآنياً للبلاغة التطبيقية.

والحق انَّ القرآن الكريم فن أدبي معجز واعجازه البياني (يتمثل بالتركيبة

الخاصّة المتميزة لالفاظ القرآن ومعانيهَ وفي مجموعة العلاقات المجازية، والاستعارية، والتشبيهية، والكنائية، والرمزية والايحائية بين المعاني والالفاظ وذلك السر الاكبر في اعجاز القرآن)[٨] كما يشير د. محمد حسين الصغير -فالعرب أمة بيان ورجال بلاغة، تطربهم الكلمة، وتهزهم الخطبة ويستهويهم الشعر، وقد وقفوا على بلاغة القرآن باهتين بما عبّر عنه الوليد:- ((والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وانَّ اسفله لمغدقَ وانّهُ ليعلوا ولا يعلى عليه، وما يقول هذا بشر))[٩].

وقد اكد الاستاذ محمود محمد شاكر في مقدمته (للظاهرة القرآنية) (اعجاز القرآن كما يدل عليه لفظه وتأريخه.. انما هو تحدٍّ بلفظ القرآن ونظمه لا بشيء خارج عن ذلك فما هو بتحد بالاخبار بالغيب المكنون، ولا بالغيب الذي يأتي تصديقه بعد دهر من تنزيله، ولا يعلم ما يدركه علم المخاطبين به من العرب، ولا بشيء من المعاني مما لايتصل بالنظم والبيان)[١٠]، وبناء على ادلة علمية ذهب الاستاذ محمود محمد شاكر الى ان الاعجاز كائن في رصفِ القرآن وبيانهِ ونظمِه.

حقاً ما يقوله السيد أمين الخولي في إعجاز القرآن إنَّ هذا القرآن من حيث هو فن أدبي معجز ثم من حيث هو هدى وبيان ديني)[١١]، ثم انَّ هناك مظاهر إعجازية أخرى في القرآن الكريم منها (مظهر الإعجاز النفسي)، وهو كما يرى الأستاذ عبد الوهاب خلاّف (لا يدار الأمر فيه إلاّ على سياسة النفوس البشرية ورياضتها لأنَّ الفن هو نجوى الوجدان، والدين هو حديث الاعتقاد وخطاب القلوب فصلته بالنفس، ومناجاته للروح

(٨) ملامح الإعجاز في القرآن العظيم د. محمد حسين علي الصغير، مستل من مجموعة بحوث مؤتمر الإعجاز القرآني الاول ١٩٩٠ وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، بغداد ص/ ٥٥٦.

(٩) المصدر نفسه والصفحة.

(١٠) الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي ترجمة وتقديم الاستاذ محمود محمد شاكر -المقدمة ص/ ١٧ -١٨.

(١١) ينظر: مناهج تجديد الإعجاز القرآني، امين الخولي، مطبعة المعارف بمصر ص/ ٢٠٣.

أوضح من يستبدل لها)[١٢].

يتضح لنا من هذه الأقوال أنَّ القرآن الكريم في خطابه الجليل قد راعي قواعد نفسية، مستدلاً وهادياً ومقنعا ومجادلا ومثيراً، ومهدداً فأستطاع بهذا الوجه من الاعجاز أن يهدي النفوس الحائرة الى إيمان مخلص ويجنب العقول الضالة الى سواء السبيل، ويلين القلوب الصلدة التي لا تلين فتأخذها الى ذكر الله.

لقد حقق القرآن في النفس الانسانية مأرباً كبيراً، فما أحدثه القرآن في النفوس الانسانية شيء كبير، فما من امرئ سليم الفكر، نقي الضمير، يتلو القرآن، او يستمع اليه إلاّ تأثر به. وهذا ما أحدثه القرآن فعلا من إنقلاب إجتماعي بين العرب، وهم الذين تملكتهم الحمّية العصبية، وسيطرت على نفوسهم النعرات الجاهلية، لأنَّ القرآن راعى قواعد نفسية في مظاهر الاعتقاد، ومأرب الانفعال، وجوانب التأثير. يقول الرافعي: ((والقرآن وان كان لم يخرج عن اعلى طبقات اللغة، ولابرز عن وجوه العادة في تصريفها، غير انه اتى من وراء النفس، لامن وراء اللسان، فجعل من نظمه طريقة نفسية في الطريقة اللسانية، وأدار المعاني على سنن ووجوه تجعل الألفاظ كأنّها مذهب هذه المعاني في النفس))[١٣].

وثمة مظاهر إعجازية متعددة في وجوه تمثل الرؤية الكونية والإعجاز الكوني والإعجاز المتمثل بالتشكيل الصوتي وإيحاءاته الدلالية وتبقى الكثير من الدراسات الأسلوبية والجمالية والمناهج النفسية، الوجودية، والاستشرافية، والعلمية، والفلسفية، والنقدية، صالحة لإستقراء النص القرآني، وممارسة وظيفتها فيه لاستجلاء أسرار العظمة القرآنية، في هذا الخطاب الإلهي المعجز.

ختاماً نوجه نظر القارئ الكريم الى الالتفاتة الرائعة للاستاذ محمود محمد شاكر في ذكره الطرق التي تعين القارئ على معرفة إعجاز القرآن وهي:

الروع الذي أخذ الرسولﷺ عند سماعه أول مرّة في غار حراءَ وهو أول

(١٢) ينظر: القرآن وعلم النفس، عبد الوهاب خلاف، منشورات دار العلم بمصر، ص٧٧.

(١٣) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى الرافعي، ص/ ١٧٥ وما بعدها.

إحساس بشري بمناسبة هذا الكلام لكلام البشر، فالرسول ﷺ رجل من العرب كلامه من كلامهم يعرف ما تعرف وينكر ما تنكر.

ثم أمرهُ الوحي أن يقرأ على مكث كان النبي يطالبهم بالايمان لا بواسطة الجدال والبراهين على أنَّ لا اله الا الله وإنّهُ رسول الله وإنّما يطالبهم بالإقرار بهذه الحقيقة بدليل واحد هو هذا الذي يتلوهُ عليهم في القرآن، ولا معنى لهذه المطالبة إلا أن يكون القرآن نفسه آية فيها أوضح الدليل على أنه ليس من كلامهِ هو وإلاّ من كلام البشر، ولا معنى لهذه المطالبة الا ان يكون هؤلاء المطالبون مميّزين لذلك التباين.

وإنْ صح إنَّ قليل القرآن معجز و كثيرهُ معجز وإنَّ هذا القليل لا يحمل جملة حقائق لاخبار الماضين ولا انباء الغيب ولا دقائق التشريع ولا اسرار الكون علماً أنَّ الذي طولب به العرب هو إستبيان ما في نظم القرآن وبيانه ليس من نظم وبيان البشر.

إذا تم هذا الاستبيان صار حكم الايمان فيه من أخبار وأنباء غيب وتشريع وأسرار حتى وأنَّ كان يناقض ما كانوا يعرفون. وليست هذه الأخبار والأنباء هي الدليل على إعجاز القرآن حتى أن أهل قريش كان يحيرهم النظم، ولذلك رموا الرسول الاكرم ﷺ بالسحر وكانت حيرتهم بالنظم لا بما لايدركون من تلك الأخبار ودقائق التشريع.

وإستمر الوحي وأمر النبي ﷺ بالجهر بالقول وإمتثل النبي ﷺ وقَرا القرآن، وطاف به في بطن مكة وأسواقها، وفي مواسم الحج وقارعتهُ قريش، وخاصمته وكذبتُه وتطاولتْ عليه بالاذى وطال تكذيبهم، فتحداهم بأن يأتوا بمثله أو بعشر سورة أو بسورة واحدة، فزادتْ حيرتهم من هذا الذي يتلى عليهم، ثم قطع الحكم الربّاني بقوله ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[١٤].

فكان هذا البيان القاطع هو الغاية التي انتهى إليها القرآن وآخر النزاع فيه ليس بين الرسول ﷺ وقومه بل بين الإنس والجان متظاهرين، وهذا هو الإعجاز.

(١٤) ينظر الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ص٧ وما بعدها.